الطلبـــة المســـلمون

في جمهورية ألمانيا الاتحادية وبرلين الغربية

الأخ سليمان عبد الله

فصل من المحاضرة التي ألقاها الأخ سليمان عبد الله الضراط باللغة الألمانية باسم المركز الإسلاميّ في بون يوم الخمـــيس ٢٩ جمادى الآخرة ١٣٩٧هـ – ١٦ حزيران/يونيو ١٩٧٧م .. وقد كانت المحاضرة بعنوان : الإسلام والمسلمون في جمهورية ألمانيا الاتحادية وبرلين الغربية

كانت الجامعات الألمانية منذ زمن بعيد هدف العديد من الطلبة المسلمين ، وقد بدأ تيار هؤلاء الطلبة بالتـــدفق في الخمسينات ، وجاء أغلبهم دون استعداد مسبق إلى عالم غريب عنهم كلية ، وكانوا في مطلع سنّ الـــشباب وعلـــى جانب كبير من ضعف الخبرة العملية في الحياة فوجدوا أنفسهم فجأة دون أسرهم وأصدقائهم ، لا يتقنون لغة أهـــل البلاد ، ويتعرضون لمغريات أسلوب المعيشة الغربي . وأدّى هذا لدى الكثير من هؤلاء الطلبة الـــشباب إلى ضـــعف واضح في مدى تمسكّهم بدينهم بينما كان بالنسبة لبعضهم تحدياً زاد قوة اقتناعهم الديني وصعّد حجـــم شـــعورهم بالمسؤولية تجاه سواهم من إخوتهم المسلمين

وكانت ممارسة الصلوات الخمس يومياً ، وأداء فريضة صلاة الجمعة جماعة أولى المشاكل التي واجهتهم وأدّت إلى تأسيس الجمعيات الطلابية الإسلاميّة . وأدركت جامعات ومعاهد عليا عديدة الاحتياجات الدينية للطلبة المـــسلمين فيها فوضعت بشكل ودّي بعض القاعات المناسبة لأغراضهم تحت تصرفهم ، وأصبح هذا الأمر مع الزمن تقليداً طيباً متبعاً في معظم الجامعات الألمانية .. إلاّ أنه ظهرت في الآونة الأخيرة دلائل تشير لاتباع موجةٍ معاكسة تمامـــاً لهـــذا التقليد ، ممّا نجد له بعض الأمثلة العملية في عدد من المعاهد العليا والجامعات ، بينما يعطي المعهد العالي التقني في مدينة (آخن) مثالاً طيباً لرعاية الطلبة المسلمين لديه ، تجلّى في إفساحه المجال لبناء (مسجد بلال) هناك على أرض جامعية ، ومع الزمن أصبح المركز الإسلاميّ هناك نقطة تنظيم موجهة للمسلمين في جمهورية ألمانيا الاتحادية بل وفي أوروبا ، مما يجعل ذلك حجر زاوية لعلاقات إسلامية ألمانية طيبة يعود الفضل فيه إلى تفهم السلطات المـــسؤولة في آخـــن تجـــاه المسلمين أيضا

إلاّ أننا إذا وجّهنا الاهتمام بالحديث اليوم إلى المشاكل التي يتعرض لها الطلبة المسلمون البالغ تعدادهم حوالي ١٥ ألفاً ، وجدنا ما يأتي :

– إنّ غالبية هؤلاء الطلبة المسلمين مضطرون إلى تمويل معيشتهم ودراستهم بأنفسهم . ولقد كانت جمهورية ألمانيا الاتحادية تجذب إليها الطلبة من البلدان الفقيرة بإغراءات إمكانات العمل فيها خلال فترات العطل ، و لم يعد هذا ممكناً الآن . فبسبب البطالة يواجه الطلبة الأجانب بالذات مشكلة حظر العمل عليهم فترة تزيد على أســابيع معــدودة في السنة ، مما ينطوي على مخاطر بعيدة المدى بالنسبة إلى كثير من الطلبة الذين وصلوا إلى منتصف المرحلة الدراســية ، فإذا أخذنا بعين الاعتبار أيضاً أن معظم هؤلاء من بلدان فقيرة لا تمنح الدولة فيها البعثات الدراسية إطلاقاً أو أنها تفعل ذلك في نطاق محدود للغاية ، كما أن ذوي أولئك الطلبة عاجزون عن إرسال أكثر من جزء بسيط من المال لتغطيــة نفقات أبنائهم جزئياً وبعد تضحيات جسيمة نظراً لفارق المعيشة الكبير بين جمهورية ألمانيا الاتحادية وتلك البلدان .. إذا أخذنا هذا بعين الاعتبار تبيّن لنا عمق المشكلة ، حتى أنّ نسبة مئوية عالية من أولئك الطلبة اضــطروا إلى قطــع الدراسة نهائياً أو لفترة زمنية كبيرة

– إنّ كثيراً من الجامعات والمعاهد العليا الألمانية يستخدم طرقاً لا تتسم بالعدل في إطار عملها على وضع حــدٍّ أعلى معين لنسبة الطلبة الأجانب المتزايدة فيها ، مثل زيادة صعوبة امتحانات تقدير مستوى المعرفة العلمية السابقة أو امتحانات القبول في الدراسة . وقد أصبح حديث السمعة السيئة لبعض الجامعات في هذا المجال يدور بــين الطلبــة الأجانب ، ويضطرهم هذا الوضع إلى الانتظار فصلاً دراسياً أو اثنين أو أكثر وربما إلى الاستغناء عن الدراسة كلية

– ولهذه المشكلة عدة جوانب ، فإذا أراد المسؤولون تحديد نسبة تعداد الطلبة الأجانب في الجامعات الألمانية على أية حال فالمفروض ألا تمنح تأشيرات الدخول إلاّ بمقدار ما تسمح به طاقات الجامعات والمعاهد العليا بشكل واضح ، فإن تعسّر ذلك لأسباب ترتبط بتطور الجامعات فالمفروض أن تقوم المكاتب الثقافية التابعة للــسفارات الألمانيــة في الخارج بحملة توعية تفصيلية على هذا الصعيد

ومن جوانب هذه المشكلة أيضاً معرفة اللغة الألمانية ، ففي معظم البلدان الإسلاميّة لا توجد دروس نظامية لتعليم الألمانية كلغة أجنبية في المدارس ، ممّا يجعل الطالب المسلم يعاني من عدم معرفته باللغة في بداية دراســته ، والمعاهــد الجيدة المتوفرة لتعليم الألمانية باهظة التكاليف إلى درجة غير معقولة ، فلا تستقبل إلاّ أصحاب المنح الدراسية ، أمــا معاهد اللغة ذات التكاليف المعقولة فهي أقرب إلى إعطاء وثيقة تثبت معرفة اللغة بالدرجة الكافيــة لإبرازهــا أمــام سلطات الأجانب للإقامة منها إلى تحقيق نجاح حقيقي في تعلم اللغة .

والمفروض من أجل حلّ هذه المشكلة وضع مخصصات مالية أكبر لدعم معاهد اللغة وتخفيض تكاليفها على الطلبة وإن دعت الضرورة إلى اقتطاع تلك المخصصات من المساعدات المالية الإنمائية ، مما يستهدف أن تخفّض رسوم معهد جوته إلى حدٍّ معقول وأن ترفع طاقات دورات تعليم اللغة في الجامعات الألمانية إلى المستوى المطلوب . إنّ المخططات المتعلقة بدراسة الطلبة الأجانب يجب أن تتضمن هاتين المنشأتين الأساسيتين لتعليم اللغة

– ويواجه الطلبة المسلمون مشكلة أخرى ترتبط بهم بالذات فيما يتعلق بوجبات الطعام في مطاعم الطلبة الجامعية، وفيما يتعلق بالحصول على غرف للسكن في دور الطلبة .

وإنني لأسمع في برلين مع كل فصلٍ دراسي جديد شكاوى إخواني من الطلبة المسلمين إزاء ما يقدّم من طعـــام في مطعم الطلبة هناك . وتدّعي الدائرة المسؤولة هناك أنها مضطرة إلى اختصار التكاليف والمصروفات بالاعتمـــاد علـــى تقديم لحم الخنـــزير ووجبات الطعام المشتقة منه بنسبة تزداد باستمرار وتصل إلى أربع أو خمس مرات أسبوعياً ، ويجد المسلم نفسه أمام أمرين ، إمّا أن يجوع أو أن يضطر إلى تناول طعامه خارج إطار الجامعة مما يؤدي إلى فوات بعـــض المحاضرات عليه . وجرت محادثات شخصية عديدة مع إدارة مطعم الطلبة هناك ، ولكن لم يمكن التوصل إلى حلـــول إلاّ في حالات نادرة ولفترات زمنية قصيرة

كذلك فإن إسكان الطلبة الأجانب المبتدئين بدراستهم كان يتم فيما مضى عن طريق دوائر الأجانـــب الجامعيـــة فانتقل منذ الأخذ بطريقة الإدارة الذاتية إلى لجان لم تعد دوائر الأجانب تمارس تأثيراً ما عليها ، وهي لجـــان تقـــوم بإجراء مقابلات شخصية مع الطلبة الجدد ولكنها تستهدف في الواقع البحث عن نقاط لقاء عقائدية نظـــراً لوقـــوع معظم تلك اللجان تحت سيطرة الزملاء من الطلبة ذوي الاتجاهات اليسارية المتطرفة ممّن لا يجدون في الطلبة المسلمين المتمسكين بدينهم ما يدفعهم إلى إعطائهم فرصة القبول للسكن في دور الطلبة .